International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (3), No. (9) September 2024 الإصدار (3)، العدد (9)

احتياج العلم للفلسفة وتعزيز الروابط بينهما

سلطنة فرحات سعد محمد

أستاذ مساعد، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا
sultanah.mohammed@ius.edu.ly

ملخص البحث

مما لا شك فيه أن عصرنا هذا عصر العلم بكل ما تعنيه الكلمة من دلالات ومعرفة ومنهجية وتقنية، ويتضح ذلك من خلال ما نشهده من انفجار علمي هائل. فقطرة الماء التي كانت مركبًا بسيطًا أصبحت عالمًا مشحونًا بالأسرار، يبحث فيه العلماء من كل التخصصات. فلم تعد مادة بسيطة كما كنا نتخيلها من قبل، بل هي مركب من الهيدروجين والأكسجين بنسبة دقيقة. والبيولوجيون يقولون إنها متحف طبيعي كامل لأشكال الحياة البدائية من جراثيم وميكروبات وفطريات وطفيليات. أما علماء البيئة فيوكدون أن قطرة الماء هي مرآة صادقة لكل ما يلوث البيئة.

ومع ذلك فإن هذا التطور العلمي ليس ثمرة بلا جذور، بل تعود أصوله إلى ثلاث قرون مضت، كان الإنسان فيها يبحث ويجتهد لفهم الطبيعة واستيعابها باستخدام العقل، فقد اهتمت الفلسفة بتوجيه النظر إلى القضايا الأولى التي شغلت ولا زالت تشغل العلماء اليوم فقد سبقت الفلسفة إليها حتى وصل العلم إلى ما وصل إليه اليوم.

فمهما تكن من أهمية للتحولات التي طرأت على العلوم وتطورها، فقد كان للفلسفة ولا يزال دور فيها فهي قبلة العقول الأولى. فالفلسفة في كل عصر وفي كل لحظة تفتح تفكيرنا على قضايا جديدة تواكب ذلك العصر، بل أن التساؤل الفلسفي لا ينفك، حتى وإن همش في لحظته، أو في عصره. لكنه حتماً سيكون في خدمة كافة العلوم وتقدمها. من هنا يجب علينا تعزيز دور الفلسفة في ظل التحولات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، علم، أبستمولوجيا، منطق، المنهج.

International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (3), No. (9) September 2024 الإصدار (3)، العدد (9)

Science's need for Philosophy and Strengthening the Links between them

Sultanah Farhat Saad
Assistant Professor, Department of Islamic Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion, The Islamic University of Al Saied Mohamed bin Ali Al Sanussi
sultanah.mohammed@ius.edu.ly

Abstract

There is no doubt that our age is the age of science in the full meaning of the word in terms of knowledge, methodology and technology. This is evident through what we are witnessing of a huge scientific explosion. A drop of water, which was a simple compound, became a world full of secrets. Scholars of all disciplines research it. It is no longer a simple substance as we imagined it before but is a compound of hydrogen and oxygen in an accurate proportion. Biologists say that it is a completely natural museum of primitive life forms, including bacteria, microbes, fungi and parasites. As for the ecologists, they assert that a drop of water is a true mirror of all what pollutes the environment.

Yet, this scientific development is not a rootless fruit. Rather, its origins go back to three centuries ago. Man in it searched and strived to understand nature and comprehend it using the reason. Philosophy was drawing attention to the first issues that occupied and still preoccupy scientists today. It preceded science until the latter reached what it has reached today.

Whatever the importance of the transformations that occurred in the sciences and their development, philosophy has been playing a role in it. It is the first target of the mind.

Philosophy in every era and at every moment opens our thinking to new issues that keep pace with that era. Indeed, philosophical questioning does not cease, even if it is marginalized in its moment, or in its era. It would certainly be in the service of all sciences and presented. Hence, we must strengthen the role of philosophy in light of the current transformations.

Keywords: Philosophy, Science, Epistemology, Logic, Curriculum.

إشكالية الدراسة

أن الأمر الذي أثار إشكالية هذه الدراسة هو التقدّم العلميّ progress scientific المذهل في العلوم الطبيعية (بكل فروعها) فمع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حدث تطور علمي هائل مما جعل البعض يتوهم أن الفلسفة انفصلت عن العلم ولم تعد هناك علاقة بينهما، فهل انفصلت الفلسفة عن العلم فعلاً أم أن دورها مازال مستمراً؟

فرضية الدراسة

للفلسفة دوراً فاعلاً لا يزال مستمراً مرهون بالوجود وهي ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان.

أهمية الدراسة

تعد موضوعات العلم افتراضية في أغلبها ولم تعد مُشاهدة من ملاحظ أو مجرب فقط وهي بهذا غدت (بالضرورة) من صنع عقل الفيلسوف الذي يضع جملة من التساؤلات التي توصله إلى نتائج واستدلالات يمكن أن تخدم العلم فيما بعد، وهو ما يعد احتياج للعلم تعززه الفلسفة.

أهداف الدراسة

تمثلت أهمية هذا البحث في الإحساس بالأزمة التي تعاني منها الفلسفة، والعزوف عنها في مجتمعاتنا العربية لذا وجب علينا أن ندعمها ونجاهد في سبيل النهوض بها في ظل التطور العلمي والتكنولوجي، ومعرفة كل الأسباب الداعمة للاهتمام بها أكثر لأنها عامل من عوامل قيام الحضارات.

منهجية الدراسة

للتحقق من الأهداف المرجوة في هذا البحث أعتمد الباحث في دراسته على المنهج التحليلي النقدي بما يتناسب وموضوع البحث.

تساؤلات الدراسة

- ماذا عن الدهشة الأولى والسؤال الأول الذي ارتقى بالعلوم الأخرى حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم؟
- هل صدق النظرية العلمية يقف على الجزء التجريبي منها؟ أم أنها ابتكار عقلي بصرف النظر عن الظواهر الكونية؟
- هل يمكن الاستغناء عن التساؤلات الفلسفية؟

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
Vol. (3), No. (9) September 2024 الإصدار (3)، العدد (9)

خطة البحث

المقدمة

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة والعلم

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم العلم لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تاريخ الفلسفة والعلم.

المبحث الثاني: فلسفة العلم

المطلب الأول: علاقة الفلسفة بالعلم.

المطلب الثاني: فلسفة العلم.

المطلب الثالث: تعزيز الروابط بين العلم والفلسفة.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المقدمة

كثيراً ما يدعي البعض بأن الفلسفة متعالية على الواقع، ومترفعة عما يشغل الناس، وأنها جامدة في قالبها التاريخي المتمثل في سقراط وأفلاطون قديمًا أو فلسفة (توما الأكويني) في العصور الوسطى، أو نيتشه أو هيجل في الحقبة الحديثة والمعاصرة، فكل هذا ليس إلا تاريخ للفلسفة. فالفلسفة ليست دراسة لتاريخ الفلسفة كما يظن البعض عن جهل أو عن دراية منهم، لربما لم تقدم حلول فورية أو جاهزة في وقتها، لكن لا يمكننا أن ننكر أنها الأم التي أنجبت كل العلوم فيما بعد.

لذلك كانت فلسفة الأخلاق والسياسية والقانون والاقتصاد والتاريخ...الخ تبدو في تساؤلاتها التي تراودها بين الحين والآخر متمثّلةً في إشكاليات لا تجد في مجالها التي تدرسه أجوبة شافية.

من هنا إذا تبدو لي جدوى دراسة الفلسفة في المجالات العلمية ضرورة ملحه تبرز من حاجة المختص للفلسفة التي تقوم وراء تخصصه وإن عَدِمَ الدراية بها.

فالفلسفة محاولة عقلية لبلورة الواقع والكشف عن قيمه ومحركاته الحقيقية واستبصاره والتأكيد على قواه الدافعة وتوجيهها إلى مستقبل أفضل، ولا جدال أن عصرنا هذا الذي نعيش فيه بل وربما العصور القادمة دون مصادرة على المستقبل هو عصر العلم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات ومعاني معرفية وعقلية منهجية وحضارية، بل وثقافية واجتماعية وتكنولوجية. [1]

[1] محمد، بدوي عبد الفتاح، فلسفة العلوم الطبيعة، 2011.م، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص11

فهي اليوم أكثر إلحاحًا على هذا الدور من حيث التأكيد على قيم العلم والروح العلمية وبثها في كل صور الفاعليات الإنسانية، وإذا كان هناك من بين الدول من هو بحاجة إلى هذه الوظيفة الفلسفية اليوم، أي ترسيخ المفاهيم العلمية وأسلوب التفكير العلمي، فهي تلك التي يطلق عليها الدول النامية أو الساعية للحاق بركب العصر. [1] ونحن من بينها بالطبع.

فقد كان ولا يزال للفلسفة دوراً بارزاً في كل الأزمنة وعلى اختلاف الحضارات، فمنذ أولى أطوار حياتنا حينما كان يتعذر على الإنسان التعرف على نفسه مستقلاً عن الآخرين، فكان يجد لنفسه دائمًا طريقة للتفلسف ليتعرف على نفسه وعلى الطبيعة المتعايش فيها، ولا يتم ذلك إلا من خلال مشاركته وتفاعله مع الواقع الذي يعاصره لمواكبة ما يجري.

إذاً الفلسفة تمارس دورها التأملي في كل عصر من العصور لتكشف عن روحها وآلياتها للتأكيد على قيمتها الإيجابية. فإن للفلسفة دور تنويري لا يمكن إنكاره، وكما أن اندثار الحضارات في عصر من العصور سببه اندثار الفلسفة.

مفهوم الفلسفة لغةً واصطلاحاً:

على اعتبار أن للمفاهيم دلالة مهمة في تحديد وضبط المعاني، تجنباً للخلط بين المسميات فهذه المفاهيم هي التي تحدد الغايات التي نتجه إليها في حياتنا فاستيضاح هذه المفاهيم ضرورة ملحة لمن يرغب في فهم ما يُبحث عنه وهي مطلوبة في كل زمان ومكان لما لها من أهمية في أدوار التحول السريع والتغيير العميق لما يحدث من مجريات في عالمنا اليوم.

ولكي نصل إلى معرفة سليمة، فإن لكل مرحلة من مراحل التطور لها سياقها المفهومي الخاص بها الذي لابد من مراعاته بالإضافة إلى مراعاة التطور التاريخي المواكب له، من هنا سنتطرق للمفاهيم المستخدمة في هذه الدراسة:

الفلسفة لغة:

لفظ فلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا. صوفيا)، ومعناه محبة الحكمة، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح. كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهي قسمان: نظري وعملي، أما النظري فينقسم إلى العلم الالهي وهو العلم الأوسط، والعلم الطبيعي وهو العلم الأسفل. [2]

[1] المرجع السابق، ص12.
[2] صليبا، جميل، 1994م، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب بيروت، لبنان، الجزء الثاني، ص160.

والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي الشمول، والوحدة، والتعمق في التفسير والتعليل، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادي الأولى، لذلك عرفها (أرسطو) بقوله: أنها العلم بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود، وعرفها ابن سينا بقوله: أنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه. أما في العصور الحديثة فإن لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة تفسيراً عقلياً كفلسفة العلوم، وفلسفة الأخلاق، وفلسفة التاريخ، وفلسفة الحقوق ...الخ[1]

الفلسفة اصطلاحاً:

تعد الفلسفة في صميمها تساؤل ولما كان الإنسان لا يكون إنسان إلا إذا تفلسف، ولما كانت الفلسفة كلها تساؤلاً فإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يكمن جوهره في القدرة على أن يضع وجوده وجود العالم موضع التساؤل. إذاً فالفلسفة "هي تلك العملية التساؤلية التي نحاور فيها أنفسنا ونتحاور فيه مع الآخرين والعالم". فهي اعتراض دائم من قِبل الإنسان ضد كل محاولة يراد بها إدماج الوجود البشري في دائرة مفرغة. [2]

من هنا نرى أن مجال الفلسفة تقلص شئيا فشئيا؛ فجميع البحوث النظرية في طفولتها هي جزء من الفلسفة، ولا تكف عن أن تكون جزءً من الفلسفة إلا حينما تصبح علوماً راسخة ذات مناهج فنية خاصة بها ونتائج متفق عليها. [3]

وهكذا نجد في متناول أيدينا أحد الأسباب التي تفسر لنا لماذا لا يوجد في الفلسفة نتائج متفق عليها؛ وهو أننا متى وجدنا منهجاً للسير في البحث وطريقة متفق عليها لتمحيص الفروض في أي مجال من مجالات الفلسفة نكف عن أن نسمي هذا المجال فلسفة.

ومن هنا كانت الفلسفة أُمّاً أنجبت العلوم كلها، إذ كانت جميعها جزءً منها ثم ولدتها وعنيت بها إبان طفولتها الواهنة، وعندما كبرت استقلت وانفصلت عنها. [4] وبهذا تعد الفلسفة المصدر الأصلي لكل فهم نظري للعالم.

قد عُدّت الفلسفة في بعض الأحيان علمًا، لكنه علمًا متميزاً عن غيره من العلوم بموضوع بحثه الخاص. فبينما تقوم العلوم الأخرى وهي العلوم التجريبية كما يسمونها. كالفيزياء وعلم الحياة وعلم النفس وأمثالها، يبحث العالم المحسوس، تقوم الفلسفة بناءً على هذه النظرة ببحث العالم المعقول الكامن

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] مجاهد، عبد المنعم، (د. ت)، مدخل إلى الفلسفة، دار النشر والتوزيع، القاهرة، الأعمال الكاملة، 19، (د. ط) ص20.
[3] نجيب، زكي، وآخرون، (د.ت)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت . لبنان، (د . ط)، ص 9.
[4] زكي، نجيب، وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص9.

وراء الظواهر التي تقتصر عليها العلوم، بحثاً لابد له أن يجري بطريق الاستدلال العقلي الخالص، ودون أن يعتمد على الحواس قط لأن المهمة التي تتكفل بها الفلسفة هي الكشف عن المبادئ العامة والمتوغلة في العموميات. [1]

فالفلسفة إذاً تعتمد على التفكير والعقل النظري المحض وتدرس العالم في كلياته لا في جزئياته، أو تدرس الوجود في شموله. وإذا كان العلم وصفياً تقريرياً، فإن الفلسفة تتجاوز التقرير إلى التفسير، وإذا كان العلم ينحصر في بحث الظواهر فإن الفلسفة تهتم بما وراء الظواهر وتبحث في حقيقة الأشياء وعلة وجودها والغاية منها. [2]

مفهوم العلم لغة واصطلاحاً:

العلم لغةً:

كلمة العلم مرادف لكلمة المعرفة (connaissance)، إلا أنه يتميز عنها بكون مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم، ويقال إن مفهوم المعرفة، لأن المعرفة قسمان: معرفة عامية ومعرفة علمية، والمعرفة العلمية أعلى درجات المعرفة، وهي التعقل المحض، والمعرفة الكاملة. وإذا علمنا أن العلم عند أرسطو هو إدراك الكلي، وأنه لا علم إلا بالكليات، أدركنا أن غاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء وهي غاية نظرية بخلاف المعرفة العامية التي تتقيد بالنتائج العملية وتظل بمعنى ما معرفة جزئية. [3]

ومعنى هذا كله أن شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم، وأن يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسائله، لا بالاستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الفردية بل بالاستناد إلى ما بين المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدريج ويحققونها ويثبتونها بطرق محددة. [4]

فلكل علم موضوع ومنهج يميزانه عن غيره، إلا أن الفلاسفة يصنفون العلوم المختلفة، ويرتبونها صنفاً صنفاً ليبنوا ما بين موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدة.

العلم اصطلاحاً:

يُعد العلم من أهم الأنشطة البشرية التي حازت اهتمام الباحثين، ويتجلى هذا الاهتمام عبر محاولتهم وضع تعريف جامع مانع للعلم وتحديد منهجيته ودراسة طبيعته، وذلك من أجل تميزه عن أنشطة كان

[1] المرجع السابق، ص10.
[2] زكريا، فؤاد، 1990م، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، الكويت، ص16.
[3] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص99.
[4] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

يعد في يوم من الأيام جزءاً منها، وأخرى اشتركت معه منهجاً وإن اختلفت عنه غايةً مثل علم الخيمياء، أو اشتركت معه غاية واختلفت نهجاً، مثل الأساطير. [1]

يعتمد العلم على منهج واحد والنتائج التي يصل إليها تلقى القبول من طرف علماء ذلك العصر، وتظل صحيحة إلى أن يثبت العكس، ويركز العلم بالدرجة الأولى على الكشف عن العلاقات بين الظواهر الطبيعية دون أن يتعداها إلى ما وراءها من البحث في طبعتيها ومصدرها ومآلها مكتفياً بالبحث عن الأسباب القريبة أو الأسباب الفاعلة. [2]

كذلك يتصف النشاط العلمي أيضاً بكونه نشاطاً يقوم على منهج محدد بالرغم مما أثاره مفهوم المنهج من خلافات بين العلماء والفلاسفة، فالمنهج شرط أساسي لوصف وتميز النشاط بالعلمية، ولكنه ليس شرطاً في الفن مثلاً، الأمر الذي يُبرر بدوره غياب الأحكام المعيارية فيه، والواقع أن إطلاق الأحكام المعيارية يعد سمة للنشاطات البشرية التي يمكن تمييزها وظيفياً ومنهجياً بوجه عام. [3]

وبعدُ فقد أدى العلم دوراً بارزاً في تقدم الجنس البشري وسهّل له سبل الاستفادة من المواد الطبيعية، كما مكنه في الوقت ذاته من السيطرة على العديد من الكوارث التي كانت تهدد وجوده، ونتيجة لهذا التطور السريع والمذهل الذي وصل إليه العلم وجدت فيه الشعوب عوناً قوياً يفي بحاجاتها المادية، بحيث أصبح كل بحث لا يدور في العلم أو حول مناهجه لا يمثل إلا ضياعاً للوقت والجهد في نظر الكثير من البشر. [4]

تاريخ الفلسفة والعلم:

من الناحية التاريخية لم يكن هناك تمييز ما بين الفلسفة والعلم، حيث ظلت الفلسفة على مدى ما يزيد على اثنين وعشرين قرناً من الزمان تقريباً تمتد من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي، ظلت طوال تلك الحقبة تنهض وحدها بالمهمة التي نهض العلم والفلسفة بعد ذلك، كل منهما بجانب الآخر. ونعني بتلك المهمة محاولة الكشف بطريقة عقلية منهجية عن حقائق العالم، وإذا كانت تلك الحقائق متعلقة بظواهر الطبيعة أو الإنسان، وسواء كانت متعلقة بما هو كائن أو بما ينبغي أن يكون، ومع تراكم المعرفة واتساعها ومع نمو مناهج جديدة للبحث عن الحقائق غير مجرد التأمل العقلي، بدأ البحث الذي يدور حول جانب معين من جوانب العالم يستقل بنفسه عن الفلسفة مكوناً علماً قائماً بذاته. [5]

[1] المحجوب، محمد، 2019م، النظرية العلمية بنيتها وسبل اختيارها، دار البيان للنشر والتوزيع بنغازي. ليبيا، ط2، ص7.
[2] زكريا، فؤاد، التفكير العلمي، مرجع سابق، ص33
[3] الحصادي، نجيب، تقريظ العلم، 1990.م، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ط1، ص17..
[4] المحجوب، محمد، النظرية العلمية بنيتها وسبل اختبارها، مرجع سابق، ص11.
[5] روزنبرج، أليكس، 2011م، فلسفة العلم، ت أحمد عبد الله السماحي، فتح الله الشيخ، ص7، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، ص17.

فما الذي حدث ليفصم عرُى الصلة الحميمية بين العلم والفلسفة، ففي الواقع أن هذا الانفصام نشأ على مراحل واتخذ أساليب متباينة، صحيح أن الفلسفة والعلم مرا بظروف مختلفة، حتى أنها اتهمت بأنها جامدة، الأمر من ذلك أنها أضحت معياراً تقاس عليه كل أنماط التقدم وامتلكت حق رفض الغير، عند هذه النقطة يمكن القول بأن عداوة مصطنعة بين العلم والفلسفة قد بدأت.

من هنا تغير الحال في العصر الحديث، وكان ذلك نتيجة طبيعية لظهور العديد من النظريات العلمية، التي أحدثت ثورة في التصورات والمفاهيم، والتي طالت جميع نواحي المناشط البشرية وأولها المنشط الفلسفي، الذي عمل ويعمل الآن على تحويل الشتات المتفرق لنتائج العلم إلى وجهة نظر كلية تصلح أساساً للمعرفة الإنسانية الشاملة. [1]

جاءت الثورة العلمية الكبرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوربا بركاناً عاصفاً في قلب فلسفة الطبيعة الإغريقية العربية، مدشنة بذلك المرحلة الثالثة من مراحل التفكير في الطبيعة، مرحلة العلم الحديث. لقد كانت نتيجة هذه الثورة بناء قاعدة العلم الحديث على أنقاض فلسفة الطبيعة. [2]

فقد كان الفضل في إشعال فتيل القنبلة التاريخية من نصيب رجل دين بولندي مغمور اسمه (نيكولاوس كوبرنيكوس)، وذلك بوضعه بديلاً للأنموذج الكوني المرتبط باسمي (أرسطوطاليس . بطلميوس) الإغريقيين. [3]

فكان أساس هذا البديل مركزية الشمس بدلاً من الأرض، وفكرة أن الأرض كرة تتحرك حول نفسها وحول الشمس شأنها في ذلك شأن باقي الكواكب. من هنا يُعد نظام كوبرنيكوس الفلكي فتحاً جديداً في العلم والمعرفة والفكر، فقد كان أول فلكي يضع أنموذجًا فلكيًا محكماً وشاملاً ليكون بديلاً جديداً لأنموذج بطلميوس الفلكي القديم. [4]

كانت فكرة حركة الكون موجودة من قبل، إلا أنها همشت منذ أرسطو، فقد هيمن نظامه الفيزيائي الكوني تمامًا على العلم القديم، فبنى أرسطو فزيائه ونظريته في الحركة على أساس ثبات الأرض، فشكل نظام كوبرنيكوس تحديًا خطيراً للعلم القديم برمته.

تعود هذه الفكرة في أساسها إلى الفيلسوف فيثاغورس الذي عمل على بناء أنموذج فلكي محكم، فالفكرة فلسفية المنشأ حتى وأن أنها عُدت بمثابة ثورة عارمة في الفكر البشري عرفت بالثورة الكوبرنيكية نسبة إلى صاحبها كوبرنيكوس الذي أطلق الحدث الأكبر في تاريخ الفكر البشري، (الثورة العلمية الكبرى). [5]

[1] محجوب، محمد حسين، تحليل منطقي لعلاقة التقدم العلمي بالبحث المعرفي، 2010.م، مجلس الثقافة العام، سرت، ط1، ص35،36.
[2] منقول بتصرف: غصيب، هشام، العقل والمنهج في الثورة العلمية الكبرى، 2018.م، المركز الدولي للتربية الابتكارية، الأردن، ص15.
[3] غصيب، هشام، العقل والمنهج، المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[4] المرجع السابق، ص19.
[5] المرجع السابق، 19،20.

هنا يجب علينا إيضاح أن الفلسفة متوغلة في كل المعارف البشرية، فهي تطرح التساؤل الذي يصطدم به ممارس أي فعل معرفي بل وحتى التطبيقي (التكنولوجي)، ويعجز بحكم معرفته المؤطّرة عن الإجابة عنه، بل إن الأمر ليتجاوز ذلك ليطال منهجه المعرفي ذاته (المنهج العلمي مثلاً) الذي يقف عاجزاً عن حل مشكلات تُفاجئ العلماء في طريقهم الذي يشكل السبيل الأوحد للوصول إلى الحقائق.

لذا نحن في أمس الحاجة لدراسة فلسفة العلوم بجانب أي علم من العلوم لكي تشكل لدى المتخصص فيما بعد تأصيلاً لمَا تعلّمه، لتحقيق رؤية فوقية تربط مجاله بالمجالات الأخرى، وبالمبادئ العامة للتفكير العلمي، وبما يكونه من قواسم مشتركة بين مجاله ومجالات علمية أخرى، فضلاً عن إكسابه التفكير النقدي لِما يتعلم.

والجدير بالقول هنا أن هناك مرحلة لم يُفصل فيها البحث في العلوم الطبيعية عن البحث في الجانب الإنساني وربما يكون القول الأدق أن الفلسفة بدأت بدراسة الكون الفيزيائي أولاً، ثم حدث مع التطور في الدراسات الفلسفية بعد سقراط أن زاد الاهتمام بدراسة المشكلات الإنسانية. [1] وتدلل العديد من المراجع التي اهتمت بالبحث الفلسفي على ذلك بالقول:

"الفلسفة في أول عهدها كانت مرتبطة بالعلم، فلم يكن ثمة فاصل بين التأمل الفلسفي، والبحث التجريبي، وكانت الفلسفة تضم العلوم المعروفة في ذلك الوقت. الفلاسفة أهتموا في أول الأمر بالظواهر الطبيعية قبل أن يحاولوا تفسير أدوات إدراكنا لهذه الظواهر أي قبل أن يتناولوا بالبحث الإدراك الإنساني ومشكلة المعرفة". [2]

فمن الخطأ أن نظن بأن دور الفلسفة قد تضاءل في عصر تطور العلم بل أن دورها بالغ الأهمية علمياً فنحن في حاجة دائماً إلى أفكار جديدة وتساؤلات ملحة شديدة المساس بالواقع وقادرة على إحداث تغيير فيه.

العلاقة الجدلية بين الفلسفة والعلم:

كثيراً ما يدعي البعض بأن الفلسفة متعالية على الواقع، ومترفعة عما يشغل الناس، فلا يمكن أن ننكر دور الفلسفة فيما تقدمه من حلول لمشكلات المجتمع، ربما لا تُعد حلول فورية أو جاهزة في وقتها، لكنها تسعى جاهده للمعرفة الأولى.

للتوضيح أكثر عن علاقة العلم بالفلسفة نحن هنا لا نريد أن نقرن الفلسفة بالعلم بالمعنى الذي يورط الفلاسفة فيما لا شأن لهم به من شؤون العلم، ولكننا نحب لهما أن يقترنا بعدة معان آخر؛ هما كالتالي:

[1] المحجوب، محمد، 2019م، في ثقافة العلم، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط (2). ص72.
[2] ريتلي، مات، 2001م، (الجينوم) ت: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، ط (1)، ص 17.

أولاً: التزام الدقة البالغة في استخدام الألفاظ والعبارات.

ثانيًا: الالتزام بقرب الفيلسوف من العالم في دقة استخدامه للمصطلحات العلمية، فإذا كان العالم يحدد على وجه الدقة ما يريده حين يقول (جاذبية) أو (ضوء) أو (صوت)...الخ فكذلك ينبني على الفيلسوف أن يلتزم بهذه الأمانة نفسها وبهذه الدقة نفسها في استخدامه لألفاظه الأساسية الهامة، فلا يقول . مثلا.كلمة (نفس) أو (عقل) أو (خير)...الخ إلا وهو على أتم العلم بحدود معناها. [1]

بمعنى آخر لا يمكن للفيلسوف باعتباره فيلسوفًا أن يتصدى للحديث عن العالم حديثًا إخباريًا بأي وجه من الوجوه، لأنه لا يملك أدوات البحث التي تمكنه من ذلك، فليس هو منوطًا بالملاحظة وإجراء التجارب حتى ينتهي بها إلى أحكام إخبارية عن العلم. [2]

لكن للفلسفة والفلاسفة دور وأهمية عبر العصور فهم المنوط بهم دفع حركة مجتمعاتهم إلى الأمام عبر تقديم الأفكار الجديدة التي تُسهم في نقل الحضارة الإنسانية من حالٍ إلى حالٍ أفضل. فهم إذن دعاة التغيير في عصرهم منذ قديم الزمان. [3]

فقد نقلوا فلاسفة اليونان البشريةّ من عصر التفكير العملي المختلط بالأسطورة إلى عصر التفكير العلميّ المُنظّم والإبداع النظريّ، فلقد أبدع أرسطو (علم المنطق) لضبط التفكير العقليّ والعلميّ عند الإنسان، ومن ثم نجح في القضاء على الفكر السفسطائي* المغالطيّ ففي تقديم الفروض العقليّة الخلّاقة لحل المشكلات الناتجة عن التطورات العلميّة بصورتها التراكميّة التقليديّة، قد أعترف الكثير من العلماء بفضل الفلسفة والفلاسفة عليهم. وهذا مدون في تاريخ الفلسفة. [4]

لهذا لا يمكن لنا أن نجمد دور الفلسفة حتى بعد التطور العلمي والتكنولوجي الهائل، وذلك لأن التقدم العلميّ بحاجة إلى علماء يملكون عقول فلسفية قادرة على وضع فروض وتساؤلات من شأنها أن تسهم في تقدم العلوم بكافة فروعها.

والدليل على صحة ما سبق أنه ثمّة هناك علاقة لا تنفصم وجدل لا ينتهي بين تأملات فلاسفة العصر الحالي وإنجازات علمائه، فقضايا التقدّم الإنسانيّ وتحدّياتها المتتالية والمتنامية يتشارك الآن في تأمّلها وضع الحلول المناسبة لها الفلاسفةُ والعلماءُ على حدٍّ سواء، مثل قضايا البيئة، والتغيّرات المناخيّة، وأخلاقيات البحث العلميّ، ومعالجة المشكلات الناجمة عن التطوّرات العلميّة في مجالات الاستنساخ

[1] محمود، زكي نجيب، نحو فلسفة علمية، 1958.م، الجيزة، ص7.
[2] المرجع السابق، ص7.
[3] النشار، مصطفى، 2022، الدور التنويري للفلسفة . عابر للعصور، مجلة صوت الجيل، العدد (5)، تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية عمان، ص37.
[4] المجلة التي سبق ذكرها، ص37، 38.

وزرع الأعضاء، والهندسة الوراثيّة، والذكاء الاصطناعي، وغيرها من مجالات البحث العلميّ بما تثيره من مشكلات مُستحدثة. [1]

فمن البديهي أن العلم كأي نشاط بشري آخر من حيث كونه يسعى الباحث فيه إلى أهداف أو غايات يرمي إلى الوصول إليها تتمحور في مجملها حول التفسير والتنبؤ ثم الضبط والتحكم في الظواهر الإنسانية أو الطبيعية. [2] كل هذه المناشط المعرفية على حدٍّ سواء؛ تشكّل هدفاً حيث يسعى إليها الفيلسوف قدر ما يسعى إليها العالم وإن اختلفا في منهجيهما كسبيلين للوصول إليها. [3]

فالفلسفة هي من توجه العلم كما أنها تساعده على التعليل والربط فهي تمده بالنظرة الكلية الشمولية، فنتائج العلم تساعد على تقدم الفلسفة والعكس كذلك.

ومن ثم لا ينبغي لمن يشتغل بالعلوم التجريبية الابتعاد عن مسائل الفلسفة، فهذا أينشتاين وهو واحد من أعظم الرجال المبدعين في فزياء القرن العشرين نجده يثني على الفلسفة. فالانتقال من النظام البطليموسي إلى النظام الكوبرنيكي، والتحول من الهندسة الإقليدية إلى الهندسة الغير الإقليدية، أو من الميكانيكا النويتينة إلى الميكانيكا النسبية وإلى الفضاء المنحني والرباعي الأبعاد، كل ذلك استند فيه العلماء إلى التأمل الفكري قبل أن يصاغ إلى معادلات رياضية. ويتضح من كل هذه الاعتبارات أن على كل من ينشد فهماً مقبولاً لعلوم القرن العشرين أن يكون ملماً بقدر كبير من الفكر الفلسفي. [4]

فقد أصبحت الفلسفات المعاصرة أكثر ارتباطاً بالعلم، وإن لم تعد قائمة على العلم ونتائجه بشكل مباشر كما كان الحال في القرن التاسع عشر. وانعكس هذا التأثير على استخدام المنهج العلمي والاستعانة بنتائج العلوم الطبيعية والنظريات العلمية في أغلب التيارات الفلسفية السائدة في القرن العشرين، حتى أصبح يطلق عليه اسم عصر المنهج والتحليل. وإذا كان الاهتمام بالمنهج يعود إلى عهد ديكارت ودفيد هيوم ...الخ إلا أن هذا القرن نجح نجاحاً كبيراً في تحليل المفاهيم وتصنيف أشكال التفكير والتحرر من الميتافيزيقا التقليدية. [5]

فلسفة العلم:

إذا كان العلم لا يفكر في ذاته فإن فلسفة العلم هي التي تتكفل بذلك العبء وتضطلع بالتفكير في ذات العلم في منهجه ومنطقه وخصائص المعرفة العلمية وشروطها وطبائع تقدمها وكيفياته وعوامله على

[1] النشار، مصطفى، مجلة صوت الجيل، سبق ذكرها، ص 39.
* علم المنطق:
[2] الحصادي، نجيب، 1991م، نهج المنهج، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، ط1، ص72.
[3] النيان، صالح، 2019، إشكالية الموضوعية في العلوم الطبيعية، دار جين، البيضاء، ليبيا، ط1، ص75.
[4] فرانك، فليب،1983م، فلسفة العلم. الصلة بين العلم والفلسفة، ت: ناصيف علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ص 8.
[5] أبو السعود، عطيات، 2002م، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، دار المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، ص9.

الإجمال التفكير في الأبستمولوجيا* – أي نظرية المعرفة العلمية – ثم العلاقة بينها وبين المتغيرات المعرفية الأخرى والعوامل الحضارية المختلفة. [1]

وإذا كان العلم لا يلتفت كثيراً إلى ماضيه فإن الفلسفة أضحت لا تنفصل عن الأبعاد التاريخية لظاهرة العلم فغدت شديدة العناية بتاريخ العلم. [2]

ولعل الدور الهام الذي يمكن أن تقوم به فلسفة العلم في خلق المناخ الملائم لتفاعل مثمر بين العلم وسائر الفاعليات الإنسانية الأخرى، ودون أن نقلل أبداً من أهمية التناول المنطقي للعلم بوصفه أحد هذه الفاعليات، أول هذه الأمثلة منبثق عن الفيزياء المعاصرة*، فقد جاءتنا هذه الفيزياء بعدد غير قليل من المفاهيم الجديدة والغريبة في نفس الوقت. [3]

فتشكيل المفاهيم في الفيزياء الكلاسيكية*، لم يكن محصوراً في مجال العلم والتفكير فقط، بل شاركت العديد من المذاهب الفلسفية في تلك الصياغات، الأمر الذي يعني أن هذه المذاهب قد انطلقت من خلال نظرتها الفلسفية، التي لا تعتمد في بحثها ونظرتها إلى الكون، منهجاً تجريبياً دقيقاً، بل كانت تعتمد طريقة تأملية في النظر إلى الأشياء والطبيعة. [4]

إضافة إلى ذلك فإن المذاهب الفلسفية التي صاغت تلك المفاهيم وضعت ثقتها في العقل بشكل مطلق على اعتبار أنه قادر على تقديم تفسير شامل للظواهر في مقابل نظرتها، للمعرفة الحسية نظرة شت يقينية، ونتيجة لذلك فقد جاءت المفاهيم في البناء الفلسفي ذات سمة تأملية. أكثر من كونها علمية. [5]

---

[1] منقول بتصرف: الخولي، يمنى طريف، 2000م، فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، العدد، 264، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص200.

* الابستمولوجيا: كلمة يونانية مركبة من لفضتين "إبستمي" episteme ومعناها علم science ولوجس logos بمعنى منطق، نقد، علم، نظرية، وعليه فإن كلمة إبستمولوجيا epistemologies من حيث الاشتقاق اللغوي تشير إلى نظرية في العلم. للمزيد أنظر: صليبا، جميل 1928م، مادة الأبستمولوجيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. ط)، ص33.

[2] المرجع السابق،

[3] محمد، بدوي عبد الفتاح، فلسفة العلوم الطبيعية، مرجع سابق، ص14.

[4] العلاف، مشهد سعدي، بناء المفاهيم بين العلم والمنطق، 1991.م، دار الجبل، بيروت، ط1، ص3.

(*) الفيزياء المعاصرة: هي التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وهي تمثل رؤية جديدة للكون تسمح للإنسان، قيمه ومعتقداته بالدخول في النسق الفيزيائي للكون وبالتالي، فوجود الله ووحدانية، والاعتراف بالعقل أو الوعي والنفس بل والأهم كذلك الغائية، كلها تمثل حقائق تنسجم ومعيطات العلم. هذه الفيزياء تمثلها ثلاث نظريات هي النظرية الذرية للمادة ثم نظرية الكم (الكوانتم)ونظرية النسبية. للمزيد أنظر: أجروس، روبرت، العلم في منظوره الجديد، ت: كمال خلايلي، عالم المعرفة، العدد (134) فبراير 89، الفصل 1_ 2_3_4.

(*) الفيزياء الحديثة(الكلاسيكية) تلك التي جاءت في القرن السابع عشر، موازية زمنياً للفلسفة الأوروبية الحديثة، واستمرت قرابة ثلاثة قرون. ترى هذه الفيزياء من حيث المبدأ أن المادة هي الحقيقة الكونية القصوى. وبالتالي تتصور الكون وكأنه آلة كبيرة تحكمه قوانين آلية صارمة تتصف بالحتمية. هذه الحتمية الآلية تسري أيضاً على سلوك الإنسان وقيمه، وقد جاءت هذه الفيزياء كرد فعل لإسراف العصر المدرسي السابق عليها في تفسير الطبيعة بعناصر لاهوتية مفعمة بالغيبيات والخوارق. للمزيد أنظر: محمد، بدوي عبد الفتاح، فلسفة العلوم الطبيعة، 2011.م، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، ص12.

[5] المحجوب، محمد حسين، تحليل منطقي لعلاقة التقدم العلمي بالبحث المعرفي، مرجع سابق، ص39.

فالعديد من الباحثين ينظر إلى المفاهيم على اعتبار أنها ركن أساسي في بناء المناهج وصياغة النظريات العلمية وفرض الفروض. وهنا نقول أن المفاهيم المثارة هي مفاهيم فلسفية في صميمها بقدر ما تعبر عن بحث علمي، فكل مفهوم فلسفي قادر بحكم فلسفيته على استثارة جدل لا يقبل الحسم... لهيجل رأي مفاده أن طائر "المينيرفا" الذي يرمز إلى الفلسفة لا يشرع في الطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله سوف أفهم هذا الحكم على اعتبار كونه يقضي بأن الفلسفة لا تبدأ في ممارسة نشاطها الجدلي إلا عقب قيام أنشطة بشرية تستثير سلوكيات ممارسيها بقضايا لا يتسنى حسم امرها وفق المناهج التي يعتدون بها. [1]

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التحديد للمفهوم الفلسفي قد يوحي إضافة إلى المفاهيم المدروسة في ذاتها بأنها في جانبها الجدلي قد بدأت بعد وصول أبحاث علمية محددة إلى درجة معينة، وهذا ما سيبطله البحث، فالفلسفة هنا بدأت قبل الأبحاث العلمية الحديثة، ومن هنا تكون "الفلسفة محاولة لا تقل ضبطاً ولا جدية عن محاولة العلم لفهم العالم، بل إنه ليس بالمقدور تكريس جدية العلم في هذا الخصوص حال غياب تصور فلسفي يحدد أهدافه ويسوغ مناهجه. [2]

وهذا ما يود البحث الوصول إليه بيان أن هناك علاقة داخلية وخارجية بين مفاهيم الفلسفة والعلم.

ولعل كارثة كورونا المعاصرة التي شكلت مناخاً يسوده القلق والحيرة في كل دول العالم، على الرغم من قناعة كل سكان الأرض بأن هناك دول تعلم وتعرف معلومات ذان أهمية قصوى عن هذه الكارثة، ولكنها لن تعطي أي معلومات على الأقل في الوقت الحاضر. [3]

لقد فرضت واقعة كورونا نفسها كواقعة عملية تستحق الدراسة العلمية، ولكن يبقى أحد أعمدة استحقاق هذه الدراسة يقوم على فرضية جوهرية أو على عدة تساؤلات فلسفية هي:

- هل كورونا فيروس أم غاز؟
- أين ظهر هذا الفيروس في البداية؟

جميعاً سنجيب أنه ظهر في ديسمبر/ كانون الأول الماضي، في ولاية ووهان الصينية، لينتشر عبر العالم.

السؤال هنا: ماهي الدول التي انتشر فيها بعد الصين مباشرة؟

سنجيب أنه وصل إلى 13 دولة في قارة أسيا تعد غالبيتها مجاورة للصين، منها اليابان، سنغافورة، تايوان، ماليزيا ...الخ [4]

[1] الحصادي، نجيب، الريبة في قدسية العلم، 1998.م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، ص13.
[2] منقول بتصرف: المرجع السابق، ص17.
[3] المحجوب، محمد حسين،2020م، ورقات من كورونا دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، مصر، ط1، ص82.

يستوجب علينا معرفياً معرفة المسافة التي تفصل بين المدينة الصينية وباقي الدول الذي انتشر فيها هذا الفيروس وتعد هذه المعرفة معرفة أساسية؟

كذلك يستوجب علينا أن نطرح سؤال آخر: هل الغازات تتحرك على هيئة كتل دائما؟ وهل تسير في خطوات ثابتة؟ [1]

عند هذا المقام يبرز السؤال الفلسفي القائل: إذا دخل الغاز لجسم الإنسان هل ينتقل منه لجسم إنسان آخر؟ [2]

لا شك أن الوصول إلى الحقائق والثوابت في البحث العلمي، وفي أي مجال يُعد مرحلة متقدمة وصعبة في ذات الوقت، خصوصاً في العلوم والمجالات النظرية، لهذا يكون للفلسفة دائماً دور من خلال طرح التساؤلات التي تُوصلنا إلى نتائج واستدلالات فيما بعد.

تعزيز الروابط بين الفلسفة والعلم:

يكتمل نشاطي العلم والفلسفة عبر التوكيد على كونهما يتخذان من المنهج النقدي وسيلة لاختبار فروضهما، دون إغفال لعدم تماهي مقاصدهما؟ ألا تعمل الفلسفة. بمفهومها العام، على تشكيل أفق توقعات البشر بقدر لا يقل أهمية عن ذلك الذي يحدثه العلم؟

فالنقطة الجوهرية في النهج النقدي هي عدم قبول فكرة أو رأي أو مقولة أو قضية على علاتها، وإنّما إعادة النظر فيها وفحصها مجدداً، ويهدف هذا الفحص إلى الكشف عن مكونات الفكرة وبنيتها الداخلية وحدودها وآفاقها وافتراضاتها وجذورها وديناميكية حركتها وتناقضاتها الداخلية والخارجية، وهو ينطوي على تفكيك الفكرة وإعادة تركيبها وتحليلها واختبارها ودراسة روابطها الداخلية والخارجية. [3]

فالنقد سمة أساسية من سمات عصر الحداثة فقد كان له دوراً فعالاً في النتاج المعرفي وتطوره، فكل مرحلة مزدهرة مر بها تاريخ المعرفة والفكر كانت نتيجة نقد للفكر السائد في تلك الفترة.

إذا كان الأمر على هذه الشاكلة، ألنا أن نتحدث عن فردوس المعرفة عوضًا عن الحديث عن فردوس العلم، ونقرر أن الفوز بنعيمه ليس حكراً على أية طائفة من البشر؟ وفي واقع الأمر فإن هناك من الفلاسفة من يؤكد صراحة على تماهي منهجي العلم والفلسفة. [4]

[4] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[1] المرجع السابق، ص83.
[2] المرجع السابق، ص 27.
[3] منقول بتصرف: غصيب، هشام، العقل والمنهج في الثورة العلمية الكبرى، مرجع سابق، ص79.
[4] الحصادي، نجيب، تقريظ العلم، مرجع سابق، ص55.

فالفلسفة إذاً تُكمل العلم ولا يكتمل أحدهما دون الآخر، لذلك لا يمكن الاستغناء عن الفلسفة، فالتساؤل الفلسفي مطروح في شتى العلوم، لذا لا يمكن لقيمة الفلسفة أن تتراجع برغم من عزوف العلوم عنها، وفي ذلك يقول الفيلسوف رسل: "إنّ العالم الذي تقدمه لنا الفلسفة القائمة على نتائج العلم الحديث هو في كثير من نواحيه أقرب إلى نفوسنا من العالم الماديّ الذي كانوا يتصوره في القرون الماضية". [1]

من هنا يمكننا القول إن العلم والفلسفة لا يمكن أن يكون هدفهما مختلفاً، فهما يتمحوران دائماً حول خدمة الإنسان وقضاياه.

إذاً فالحديث عن الفلسفة التجريبية باتا مشروعاً اليوم، ورغم نزوع هذا المنهج لإعلان سيادته على أغلب مجالات التفكير فإنه مازال يفتقد من حيث نتائجه لليقينية، وتطبيقاته الواقعية تجرنا إلى استخلاص طبيعة الخطأ، ومن هنا فالخاصية المميزة للباحث العلمي الأصيل هي الاندهاش إذ عليه أن يتساءل حول مدى صحة الإجابات المقبولة والحلول المتوفرة علمياً، لكن النقد لا يكون نقداً إلا إذا كان مؤسساً، فإن كان تفسير ما مقبولاً عند الأقدمين فإن الدهشة وتحديداً وازع إبداع حقيقة جديدة يمثل ماهية وجوهر المعرفة العلمية.

إذاً يجب علينا أن نعي بأن المباحث التجريبية، وإن كانت نورنا الأوكد لمعرفة الحقيقة الواقعية فإنها لا تقدر على الإجابة إلا على جزء محدود من التساؤلات الإنسانية ففي هذا العالم المعطى، يعيد العلم زرع شبكات نظامية تتحول بدورها إلى مستنقعات للجهل والخطأ للألم والياس، فالعقل التجريبي يحوي داخله مشروعية حضور المبحث الميتافيزيقي وحضور القيم الأخلاقية والدينية.

إذاً العالم لا يتوصل لفرضيتيه بإجراء التجارب وتحليل النتائج إنما الأمر في ذلك يعود إلى التساؤلات التي يسألها العالم مع نفسه وبالأحداث التي تجري في كونه والتفكر فيه ليصل إلى الفرضية التي سينطلق منها ليسلم بها فيبني عليها فيما بعد العديد من التفسيرات لظواهر الكونية التي هي أساس دراسته.

إذاً فدور الفلسفة في رسم الصورة للعالم دور أساسي ومهم، لأن العلم يزودنا بحقائق جزئية هي بمثابة الألوان التي يستخدمها الفنان، وأن الطريقة العلمية هي وسيلة عرض تلك الحقائق الجزئية في الإطار، فهي بمثابة الخطوط الرئيسة التي يرسمها أو يتخيلها الفنان على أرضية الصورة. [2]

أما الفلسفة فهي الأسلوب الذي يربط أجزاء الصورة في كلٍّ منسجم وموحد، وتبين في الوقت ذاته الفجوات والغوامض التي تركها العلم في رسم الصورة، فليست الفلسفة علماً في مستوى العلوم الطبيعية، لأنها لا تهتم بحقائق العلم الجزئية ذاتها، بل بطريقة توزيع الحقائق الجزئية في الصورة،

[1] نقلاً عن: محمود، جمال، الفلسفة والعلم بين راسل وفتغنشتاين، ص105.
[2] منقول بتصرف: خليل، ياسين، 1971م، منطق المعرفة العلمية، منشورات الجامعة الليبية.كلية الآداب، (د. ط) ص8.

وليس من واجب الفلسفة إضافة حقائق جديدة في العلوم، بل تتجلى غايتها في دراسة الطريقة العلمية التي استخدمها العالِم وإمكانية تطويرها أو إزالة معوقاتها، وفي دراسة المعرفة العلمية التي يقوم العلم بتزويدها عن العالم ابتغاء توضيح الصورة وفهمها. [1]

هنا تصبح الفلسفة ضرورية للعلم كما أن العلم ضروري للفلسفة، وبهذا يتحول الفيلسوف إلى مشارك في العمل العلمي، ويتحول العالِم إلى مشارك في العمل الفلسفي، وبذلك تتجلى الصلة بين العلم والفلسفة والعالِم والفيلسوف بشكل بارز في نظرية العلم Wissenschaftstheorie.

وهنا يجب أن نوضح أن لكل منهما دوره الذي يعزز الآخر ولكن لا يمكن لنا أن نوحد بين الفلسفة والعلم في المنهج والخطوات، حتى تستحيل الفلسفة بالضرورة إلى العلم، إنما يجب إيضاح أن النهج الذي تنهجه الفلسفة في كل مباحثها هو المنهج العقلي، وهو نشاط حر فعال يرتكز على النقد العقلي بالدرجة الأولى.

وهذا الإيضاح لا يتحقق إلا من خلال رابطة تعاون وثيقة بين الفلاسفة والعلماء، والعلماء الذين هم على قدر كاف من الثقافة الفلسفية الراقية، يدركون هذا أما من يفضون غلاف العلاقة بين الفلسفة والعلم فإن موقفهم لا شك "يفضي عادة إلى نمو غير متعمد لفلسفة رديئة". [2]

"نستنتج من هذا أن الفلسفة متغلغلة في العلم حتى النخاع، إنها المعنى الباطن الذي يزود العالم بالزاد العلمي ويرشد عمله المنهجي". [3] وفي هذا السياق يوضح لنا عبد الرحمن بدوي* بدقة متناهية جوهر العلم وأساس روحه الأصيلة.

إن دائرة العلاقة بين الفلسفة والعلم من حيث أن الفلسفة تقدم للعلم زاده المعرف، وأساسه الأبستمولوجي الذي يجعله نبراساً لها، ولذا فإن "كل من يشتغل بالفلسفة (يتفلسف) لابد له أن يكون على معرفة بالمنهج العلمي". [4] حتى يستطيع أن يتحاور مع مستجدات عصره، وأن يناقش العلوم في علومهم. وهذا ما يمكن وصفه الدور الإيجابي للفيلسوف.

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[2] بدوي، عبد الرحمن، 1979م، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، ص18.
[3] بدوي، عبد الرحمن، مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص22.
[4] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
*عبد الرحمن بدوي: يعد أحد أبرز الفلاسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا، إذ شملت أعماله أكثر من 150 كتابا تتميز ما بين تأليف وترجمة وتحقيق، تأثر ببعض الفلاسفة الوجوديين الأوربيين وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، حصل على رسالة الدكتوراه من جامعة القاهرة وكان عنوان الرسالة (الزمان الوجودي) وكان من المشرفين عليها طه حسين والذي قال عنه" أول مرة نشاهد فيلسوف مصرياً" وناقش بعدها " مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية والزمان الوجودي" كان يجيد العديد من اللغات منها الإنجليزية الفرنسية واليونانية والأسا بنية إلي غير ذلك من اللغات الآخر. للمزيد أنظر" بدوي، عبد الرحمن، 2000م، سيرة حياتي ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 15.

الخاتمة

لدى الكثير تصور مغلوط هو كون أن العلم لا صلة له بالفلسفة، غير أن هذا التصور يعبر عن فهم ضحل أو مغلوط لا يفطن إلى ما هناك من صلة حميمة بين العلم والفلسفة، فالعلم والفلسفة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، فهما ملتحمان في الوعي الإنساني عبر التاريخ.

للفلسفة دور تنويري لا يمكن إنكاره حتى بعد ثورة الاكتشافات العلمية، وعصر الحداثة العلمي، فلا يمكن أن تحاصر الفلسفة بتهمة أنها لا تواكب العلم، بل يجب التدرب على التفلسف لنتأمل في كل ما حولنا بنظرية نقدية وإبداعّية نحن بحاجة لها الآن.

أن الحاجة إلى الفلسفة لن تتوقف ولن تنتهي ما دامت الحياة فنحن بحاجة إلى التجديد والتطوير وهي من تحدد الإشكاليات التي نواجهها وتقدم اقتراحات وحلول لمعالجتها فضلاً عن أنها تحدد الرؤية التي نطمح أن نصل إليها وذلك على مستوى كل الميادين وشتى أنواع العلوم.

فالعلاقة بين العلم والفلسفة علاقة جدلية وعلينا أن نعي جدلية هذه العلاقة يتوهم من يعتقد أن لا صلة للعلم بالفلسفة، بل نحن اليوم في أمس الحاجة إلى الفلسفة لما لها من دور عريق لإنارة طريق العلم والمعرفة.

نتائج الدراسة

- أن الفرضية العلمية التي تعمل الأبحاث على محاولة اثباتها أو رفضها هي في الأصل تساؤل فلسفي.
- الفلسفة داعمة للعلم وتعمل على النهوض به.
- إثراء الفلسفة للعلم بالعديد من المفاهيم العلمية.
- لكل علم مهمة فلسفية لا يمكن أن يقوم بمعزل عنها.

توصية الدراسة

نوصي بمشاركة البحوث الفلسفية مع العلوم بصفة عامة لأنها تساهم بجزء لا يمكن تجاهله، في حياة الإنسان وكيفية تفكيره.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو السعود، عطيات،2002م، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، ص9
2. الحصادي، نجيب، الريبة في قدسية العلم، 1998.م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1.

3. الحصادي، نجيب، 1991م، نهج المنهج، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، ط1.
4. الحصادي، نجيب، تقريظ العلم، 1990.م، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ط1.
5. العلاف، مشهد سعدي، بناء المفاهيم بين العلم والمنطق، 1991.م، دار الجبل، بيروت، ط1.
6. المحجوب، محمد حسين، 2019م، في ثقافة العلم، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي ليبيا، ط (2).
7. المحجوب، محمد حسين . محجوب، محمد حسين،2010م، تحليل منطقي لعلاقة التقدم العلمي بالبحث المعرفي مجلس الثقافة العام، سرت، ط1.
8. المحجوب، محمد حسين،2020م، ورقات من كورونا دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، مصر، ط1.
9. المحجوب، محمد، 2019م، النظرية العلمية بنيتها وسبل اختيارها، دار البيان للنشر والتوزيع بنغازي . ليبيا، ط2، ص7.
10. النيان، صالح، 2019، إشكالية الموضوعية في العلوم الطبيعية، دار جين، البيضاء، ليبيا، ط1.
11. بدوي، عبد الرحمن، 1979م، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2.
12. خليل، ياسين، 1971م، منطق المعرفة العلمية، منشورات الجامعة الليبية.كلية الآداب، (د. ط).
13. روزنبرج، أليكس، 2011م، فلسفة العلم، ت: أحمد عبد الله السماحي، فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط (1).
14. ريتلي، مات، 2001م، الجينوم، ت: مصطفي إبراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، ط (1).
15. غصيب، هشام، 2018م، العقل والمنهج في الثروة العلمية الكبرى، المركز الدولي للتربية الابتكارية، الأردن، ط (1).
16. فرانك، فليب،1983م، فلسفة العلم . الصلة بين العلم والفلسفة، ت: ناصيف علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.
17. مجاهد، عبد المنعم، (د. ت)، مدخل إلى الفلسفة، دار النشر والتوزيع، القاهرة، الأعمال الكاملة، 19، (د. ط) ص20.
18. محمد، بدوي عبد الفتاح، فلسفة العلوم الطبيعة، 2011.م، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

المعاجم والموسوعات

1. صليبا، جميل، 1994م، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب بيروت، لبنان، الجزء الأول، والثاني.
2. نجيب، زكي، وآخرون، (د.ت)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت . لبنان، (د . ط).

المجلات العلمية

1. زكريا، فؤاد، 1990م، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، الكويت.
2. الخولي، يمنى طريف، 2000م، فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، العدد، 264، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
3. النشار، مصطفى، 2022، الدور التنويري للفلسفة. عابر للعصور، مجلة صوت الجيل، العدد (5)، تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية عمان.